

العجز والقمع

"يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلم النطق، وتقضي الأنظمة العربية بقية عمره في تعليمه الصمت."

أحلام مستغانمي.

هذه حال لبنان والعالم العربي. وهو واقع تلخصه حكمتان: العجز والقمع. عجز عن مواجهة السياسة الخارجية الأميركية (ناهيك عن التبعية لها!)، وقمع يصادر آراء الشعوب وحقوقها أو يحتويها لمنع تحولها إلى قوة تغيير حقيقية.

من مصادرة الكتب وملاحقة الكتاب كما حصل مع أدونيس العكرة و عقل العويط، و الدعوة لإحراق جريدة "النهار" و مصادرة نشرة حقوق الطلاب في طرابلس و إرهاب نايلة معوض و ملاحقتها و تحريم مناطق عليها، إلى إقفال محطة MTV والإعتداء على الحريات الشخصية والحق في الاختلاف، إلى محاكمة مارسيل خليفة في بيروت وفرض الرقابة على "نشيد الأناشيد" في بعلبك... مروراً بنصر حامد أبو زيد في مصر، و مذبحه الكتاب والشعراء في الجزائر، إلى مئات المثقفين العراقيين المنفيين، إلى سجناء الرأي والكلمة في سوريا، إلى آخره... تنكشف مسألة هذه اللعبة المضحكة - المبكية.

فالأصوليات يتغذى بعضها من بعض. أصولية بوش تحتاج الى الأصولية والديكتاتورية في العالم العربي من أجل تبرير عنصريتها وعطشها الى الدم والنفط. وفي المقابل، تحتاج الأصولية العربية إلى أصولية بوش من أجل تبرير قمعها واستبدالها. المسألة واضحة. المعركة في مواجهة الغزوة الأميركية هي معركة الحرية في العالم العربي. مواجهة الامبراطورية الأميركية تتم اليوم في ساحة الرأي العام العالمي، أي في مساحة الحرية والديمقراطية. والعالم العربي ممنوع من المشاركة في هذه المعركة، لأنه محروم من الحرية التي صادرتها العسكرية تارياً الممسكة بالسلطة، والتي لم تصنع سوى هزائم سنوات 1948، و 1967، و 1982، و 1991، واليوم...

طويلاً ظن العرب، حكماً وأحزاباً، أن المعارك منفصلة. وأن مواجهة إسرائيل تنجح من دون مواجهة التخلف والظلام. ظنوا أن السلاح يحرر الأرض، ولو حمله عبيد. وظنوا أن النهضة هي بامتلاك التقنيات دون امتلاك العقل الخلاق... حتى توالى علينا النكبات والنكسات.

من أجل الدفاع عن أنفسنا و صون مستقبلنا، علينا إسقاط الديكتاتورية و الخروج إلى فضاء الحرية. مقاومة الغزو الأميركي لا تكون بشعارات الوفاء، بل بشعار التغيير؛ وصناعة الكرامة لا تكون بتظاهرات مقننة ومعلّبة، بل برفع سيف الأجهزة المسلط على الناس.

وما لم تُكسب معركة الحرية، سيبقى الأميركي متربِّعًا على حقول النفط، وعلى عروش الحكام.

وستبقى إسرائيل داخل كل بيت، ولو بألف اسم مستعار.

مجموعة بلا حدود